

مناقشة

((قضايا الشعر المعاصر))

بين الاصاله والتزييف
بقلم محمد عيد

بتاريخ (٦٧-١٩٦٣) وبيننا اعيش مع ((قضايا الشعر المعاصر)) في متعة وجدانية وعقلية اذ طالعت جريدة الاهرام قراء الصفحة الادبية بمقال للدكتور ((لويس عوض)) عن الكتاب تحت عنوان ((ثورة العروس)) وما كدت انتهي من قراءته حتى شعرت بالفئشان والدوار لان السيد الكاتب قد زيف الحقيقة تزييفا مشينا ، حيث ترجم انفعالاته الخائفة في مقال تنز من جوانبه دماء الضحيحة البريئة ((نازك الملائكة)) ، وتلوي في افكار المفرضة التواء يخدم الهوى الشخصي اكثر مما يخدم الحقيقة ، ان كان في المقال حقيقة على الاطلاق !!

يبو من اول المقال الاتجاه المفرض في الحكم على الكتاب ، اذ لم يحكم عليه حكما موضوعيا يتسم بالحيده والنزاهة ولكنه حكم يتردد بين ((الجودة)) و ((عدم البأس)) و ((الرداء)) تبعاً للظروف والاحوال ، وحسب الزوايا المختلفة التي تراها عين الناقد البصير ، يقول ((هو كتاب جيد او لا بأس به اذا اخذناه ماخذنا لخواطر شاعرة عربية لامعة في شعر الشعراء المعاصرين ... اما اذا حكمنا عليه وفي ذاكرتنا ما قالته الدكتورة بنت الشاطيء في وصفه من انه اهم كتاب ظهر في العروس منذ الخليل بن احمد لم يسعنا الا ان نرفضه رفضا لكتاب رديء (١) . وتصدير المقال بهذه العبارة يشف عن الدافع المباشر الذي دفع السيد الناقد الى تناول هذا العمل العلمي الجاد بالحديث ، وهو الهوى الشخصي او العناد ، فعلى الاساس الاول : جاء حكمه ان الكتاب ((جيد)) او ((لا بأس به)) ، وعلى الاساس الثاني : الكتاب ((رديء)) و ((مرفوض)) ولا اظن ان احد هذين الدافعين او كليهما صالح لتناول عمل علمي بالتفسير والحكم ، وانما يقوم ذلك على اساس انطاق العمل العلمي نفسه ، واستقراء افكاره واراته ، ومقدار ما فيها من ابداع واصالة ، اوتقليد وضحالة ، على ان يسبق ذلك ثقافة واعية لما كتب في موضوعه ، ووعي ناضج بالموضوع نفسه ، وكل ذلك يتنافى تماما مع ذلك التردد المفرض وتلك الاحكام الساذجة الظالمة التي قدم بها السيد الناقد مقاله والحقيقة ان وراء هذين الدافعين - بل وراء كتابه المقال كله - دافعا اخر يوجه اراء السيد الناقد واتباعه ، هو محاولة تخريب كل ما هو اصيل من ثقافتنا ، وتشويه كل عمل جاد نكتشف به جوهرنا ، والقاء الظلال القاتمة على الجوانب المضيئة من تراثنا وادبنا ، حتى نبقى دائما - كما يريد السيد الناقد - نتسول موائد الاجانب ، ونردد ما يقولون ترديدا ببغاويا حتى ولو لم يتفق مع واقعنا وبيئتنا وتراثنا .

وفي ضوء ذلك ينكشف التزييف الذي وصف به كتاب ((قضايا الشعر المعاصر)) اذ جرده من ان يكون كتابا علميا ، وضع مؤلفته طرفا في معركة وهمية ليعلم على الناس قوله : ((كتابها اذا مجرد بيان في المعركة ، وليس كما ذكرت سيدتي بنت الشاطيء

اهم كتاب في العروس العربي منذ الخليل بن احمد ، بل ان كتاب نازك الملائكة ليس كتابا في العروس الجديد اصلا (٢) وهذا الرأي يكذبه النظر في محتويات الكتاب ، بل حتى النظر الى فهرسه ، فقد استغرق البحث في عروس الشعر الحر ومشاكله وتلقى الجمهور له ما يقرب من مائتي صفحة ، كلها دراسة ناضجة تستند الى النصوص لاستقراءها ، والى اراء علماء العروس العرب للاستناد اليها واستنتاجها ، ثم عرض ظواهر الشعر الحر الموسيقية من خلال نماذج لتفسيرها والحكم عليها ، وبعبارة قصيرة : تفسير الجديد في ضوء القديم استنادا على مجهودات السابقين والاستقراء والتدقيق وهذا منهج سليم علميا ، بل هو منهج واجب الاتباع في بحث كل ظواهر اللفظة والادب ، لانه يجمع بين الابداع والتطور القائمين اساسا على مجهودات السابقين من علمائنا كما يربط في وعي وفهم بين حركة الشعر الحر وشعرائه ، وبين اسلافهم ومعاصريهم من شعراء القافية والقصيد .

اكل هذا - ياسيدي الناقد - بيان في معركة ، وليس كتابا في العروس !! - الحقيقة انه لا يفهم هذا الفهم الا اصحاب البيانيات والشعارات المذهبية الذين لا يعترفون بمنهج غير منهجهم ، وان كان دخيلا على حياتنا وثقافتنا .

وكما تصور الناقد التحرير معركة وهمية ، وجعل كتاب ((نازك)) - ظلما - بيانا لتأييد صفها من الشعراء ، تصور كذلك معركة وهمية اخرى بيننا وبين الخليل بن احمد ، اذ يقول : ((فمحاسنتنا نازك الملائكة بمقياس الخليل بن احمد محاسبة تخرج منها نازك الملائكة خاسرة ايما خسارة (٣))) . ثم يقرر هذا المقياس بعد ذلك بان الخليل بن احمد وضع قوانينه بعد ان اكتملت موسيقى الشعر العربي ، اما نازك الملائكة فتضع قوانينها والشعر المعاصر لا يزال على حد تعبيره - جينيا يتكون ((لان موسيقى الشعر الجديد واوزانه وخصائصه لا تزال في مرحلة التكوين ، ولا يمكن استخلاصها حقا او تبويبها حقا الا بعد اجيال واجيال)) والحقيقة ان المؤلف الفاضلة لم تضع في اعتبارها ولا في كتابها ان تحاسب الخليل او يحاسبها الخليل ، فمنهج بحثها يتنافى تماما مع هذه الفكرة الغربية ، لانه يقوم - كما سبق على الافادة من اراء علمائنا السابقين - وعلى راسهم الخليل - بالاسترشاد لا المعارضة او المحاسبة وكل هذا يتم في ضوء الاستقراء والتدقيق اللذين تتضح من خلالهما شخصيتها وابداعها ولقد انتت في كتابها نساء عاطرا على العالم العربي العظيم غير مرة ، تقول : ((والفضل فيما قد اكون قد وفقت اليه من قاعدة اوقانون يرجع الى الخليل العظيم الذي رصف الطريق لكل شعر عربي خير رصف وادقه ، وابتدع العروس ابتدعا على غير نمط سابق ولست اراني فعلت في هذا الفصل عن عروس الشعر الحر اكثر من استقراء قوانين جديدة على اساس الخطوط الكبرى التي رصفها ذلك العالم الفذ (٥))) . ولكن السيد الناقد اتخذ الخليل بن احمد واجهة يقدم من ورائها رايه السابق بان الشعر الحر في مرحلة التكوين ، ولا تصح دراسته الا بعد اجيال واجيال .

مقتضى هذا ان نتوقف اذن عن هذه الدراسة ، وان نتفرج فقط على ما تقدمه المطابع كل حين من دواوين الشعراء المعاصرين ، وعلى ما تطلعنا به المجلات الادبية في العالم العربي من انتاج غزير ، وعلى تلك المعارك القائمة صباح مساء بين الدارسين والشعراء !! انه منطوق غريب حقا !! منطوق غريب ان يقال لنازك الملائكة : ان كتابك هذا سابق لاوانه وكان من اللازم ان تضربي صفحاته وتطوي

(٢) المقال السابق .

(٣) المقال السابق

(٤) المقال السابق

(٥) قضايا الشعر المعاصر ص : ٧٨

(١) مقال ((ثورة العروس)) - الاهرام ٧-٦-١٩٦٣

والاستشهاد لا يتحتم فيه ايراد كل من يشهد به على الدراسة فقط يجب ان يكون ممثلا تمثيلا صحيحا لما ورد شاهدا عليه، والا لطلبنا من كتب في النحو او النقد في القرن الرابع الهجري ان نرد في دراساته كل اسماء الشعراء والناظرين بالعربية، وهذا ما نم يقل به احد، ولا يصح ان يتخذ سبيلا للعب فسي الباحث وابحاثه .

اما انها قد كتبت اول قصيدة من الشعر الحر، فهذا حقها تاريخيا وادبيا، وهل كان من الواجب ان تكتم ذلك حتى يرضى السيد الناقد واتباعه وان غضبت الحقيقه !!
وبعد :

فمقال السيد الناقد يفتقد الضمير العلمي، وهو في نفس الوقت يفتقد الضمير الخلقى، لان روح العلم في جوهرها روح اخلاقية .

محمد عيد

المعيد : بجامعة القاهرة

مادوز تتحجر . . .

بقلم أديب خضور

مسرحية « مادوز تحرق في الحياة » (١)، عملية تعرية للقفزة الاخيرة على الدرب المسدود .

والمسرحية تعرض مأساة انفصال العلم عن الفن، والسباق الرهيب بينهما للسيطرة على العالم اللغز . وينجح العلم في اختراعاته التي تمكنه من السيطرة، ولكنه يصبح عبدا لاختراعاته، ويتجر الفن، وتجن السلطة، ويحدث هذا كله امام العالم اللغز الابكم اللامبالي .

وبهذا تطرح المسرحية مشكلتين، الاولى هي انفصال العلم عن الفن، والثانية لامبالاة العالم وصممه . . .

والمشكلة الاولى فيها تعميم رخيص - وسنرى ان هذا التعميم يسري في جميع اجزاء المسرحية - فالمسرحية مجرد معادلة اعطت مقدمات معينة كان لا بد ان تقود الى النتيجة المحددة، بحيث ان أي اهتزاز في المقدمات يهز النتيجة من جذورها، والسؤال عن المقدمات المطروحة، بالنسبة للجانب المظلم من العالم واقصد به العالم الرأسمالي، هذه المقدمات، بل المعادلة كلها صحيحة تماما، حيث نرى العلم يقوقع نفسه ويخترع، فقط لاجل الاختراع والسيطرة، ونجد الفن يلفت وجهه عن بؤس العالم الى جمال مفتعل او اسطورة عفنة يتخفها رموزا ويلهت وراء وهم الفيبي المطلق . . بهذا المنظور تصبح مقدمات المسرحية صحيحة تماما، ولسكن المفاهيم الرأسمالية ليست العالم كله . المفاهيم الجديدة دحرت كل

١ - المدد الماضي - سعدالله ونوس .

كشحا عن تاليه حتى تنجلي الحركة او تنتهي ثورة العروض كما يقول الناقد الكبير !!

والحقيقة ان ذلك المنطق يتنافى مع الطابع العلمي العام في دراسة الظواهر الانسانية والتجريبية على السواء، لان وجود الظاهرة يستدعي دراستها وتفسيرها، او كما تقول نازك : « وانه لطبيعي ان تظهر الانماط اولا، ثم تعقبها القواعد التي بها يقاس الفاسد منها، وهذا لان النمط خلق تندفع به طبيعة فنان تلهمه روح العصر، واما القواعد فهي مجرد استقراء واع (٦) وكل دراسة قابلة للتعديل بمرور الزمن وتوالي الجهود في موضوعها وفننها والخطا فقط يكون في افتراض احد الدارسين ان رايه هو الراي النهائي وان قوله هو القول الفصل، وان حكمه لا يقبل النقض فهناك اذا فرق بين ناحيتين : دراسة الظواهر وتفسيرها، وافتراض ان تلك الدراسة هي القول الفصل فيها، الاولى مطلوبة علميا ولا يصح توقفها او تعييدها، والثانية مرفوضة علميا لا يقول بها باحث ناضج .

ولقد اختلطت هاتان الناحيتان في ذهن السيد الناقد - عن قصد او خطأ - فبنى حديثه على الناحية الثانية، موهما ان نساكك تقف في وجوه العباد لتمنع البحث والاجتهاد بعد كتابها ودلف من خلال ذلك الى الناحية الاولى لمنح دراسة الشعر الحر اصلا الا بعد اجيال واجيال ولو استطاع اذا لجمع الكتاب من الاسواق ومسن يدي القراء

والحقيقة ان المؤلفة قد قدمت اجتهادها في ظواهر الشعر الحر وموسيقاه التي مضى على وجودها اكثر من خمسة عشر عاما، ولم تقل على الاطلاق : ان هذا هو الراي الاخير والحكم الفصل . فقد ادت الطريق، ومن حق غيرها ان يجتهد بما يتفق معها او يخالفها وهي بذلك تستحق الثناء والتقدير، لا ان يقول عنها السيد الناقد : « انسا لا نزال في اول الطريق، واقامة هذه الوصاية قبل ان تكتمل قوانين الشعر الجديد امر مضحك (٧) فان المضحك حقا هو هذا الكلام الساذج الموتور !!

ويختم الكاتب مقاله بتهمة كاذبة، يحاول جاهدا ان يلصقها بالمؤلفة، وهي التعصب لبلدها (العراق) ونفسها، ويربر نهامه بايراد شعراء مصريين - صلاح عبد الصبور واحمد حجازي وعبد الرحمن الشراوي - واصفا كلا منهم بما شاء من اصناف الحسن والتدليل، اذ عز عليه الا تذكرهم المؤلفة بهذه الاوصاف بين من ذكرت من الشعراء - كما يربر تعصبها لنفسها بانها ذكرت ان اول قصيدة من الشعر الحر كانت لها سنة ١٩٤٧ م

والذي اعلمه ان « نازك » في كتابها تتحدث عن سمات الظاهرة الادبية الجديدة - الشعر الحر - لا عن التاريخ لتلك الظاهرة وشعرائها تاريخيا ادبيا، حتى تطالب منهجيا ان تورد اسماء من كتبوا فيه، وقد اوردت من الشواهد ما يؤيد دراسة الظاهرة

(٦) قضايا الشعر المعاصر ص : ٥٥

(٧) مقال : « ثورة العروض »

تأليف عمار اوزيفان

وزير الاصلاح الزراعي
في الجمهورية الجزائرية

صدر حديثا :

لجهاد الافضل

اول دراسة تكتب بعد الاستقلال بقلم احد قواد جيش التحرير الجزائري

دار الطليعة - بيروت - ص ب ١٨١٣

ومهدد في احسن الاحوال ، وسياسة تجميد كسل شيء لاتخاذ الجميع، أيضا مرفوضة ، ولا بد أن يبقى الانسان ويستمر ولكن بالشكل السذي يريد وبالكيفية التي يختارها ... وهذا يقودنا الى أسلوب العمل. ان الصياح الهستيري والسليبي في معظم الاحيان، والحلول على المستويات النظرية والأخلاقية ، كلها اساليب مرفوضة ، بل قد تعتبر مواقف خاطئة تميع الصدام وتزيغه او تؤجله في احسن الاحوال .. بالاضافة الى انها قد تفتت الصف .. والحل الوحيد هو خلق الانسان الواعي المتكتم والذي يحفر يوميا وبأظافره الدرب الطويل ، ولكن كيف ؟ وعلى الفور أقول : لا بد من استلام الدفة، وكل ما بعد ذلك مسألة وقت لا اكثر - بشرط ان نستطيع القفز فوق تفاصيل وشكليات لا يثيرها الا المفروضون .. وبديهي ان هذا مستحيل في ظل الفلسفة التي تسري عبر المسرحية وتفتعل هذه التقسيمات والحدود ، وتزحم الافق بثرثرة عن الحرية لتحاول تغطية ابر كمية من العبودية .

وهكذا نرى ان المسرحية قدمت مقدمات ومفاهيم معينة حتمت نتيجة معينة .. العلم يخترع للفرور والكبرياء والسيطرة ، والفن منفصل عن العلم يسمى للسيطرة بطريق اخر ، والحاكم يريد السيطرة ايضا ... والعالم أبكم أصم ، والانسان يضج بلا اكترات .. والرهبان في هذا السباق هو السيطرة والطلق وليس الانسان ، ولذلك كان لا بد ان يحترق الجميع ...

فالمسرحية تعرض مشكلة خاصة جدا ضمن نطاق محدد جغرافيا وفكريا ، وهي في هذا ناجحة ، والافتعال فيها انها حاولت ان تفهمنا انها تعرض مشكلة تواجه العالم كله - بكل ما فيه من مفاهيم متباينة - متجاهلة بذلك تجاهلا مفرضا ومقلقا سطوعا فكريا ألقى المشكلة وفجسر السد وحجّر مادوز نفسها .

أديب حضور

القاهرة

صدر حديثاً :

الدراسة الموضوعية الحاسمة في أدب

جبران وسيرته وثقافته

للدكتور خليل حاوي

استاذ النقد الادبي في الجامعة الاميركية

KHALIL GIBRAN

His Background, Character and Works

By

Khalil S. Hawi

Foreword

By

Nabih Faris

مشورات كلية الاداب والعلوم في الجامعة الاميركية بيروت

التخوم المترسبة بفعل ضغوط شكلية او مصلحسية بين العلم والفن والانسان وقالت ليس هناك فن لاجل الفن او علم لاجل العلم - لا شيء لذاته البتة ، كل شيء له هدف ودور في المنظومة البشرية عبر المسيرة الكبرى ، ان الانسان لا يستخدم العلم والحضارة والفن للوصول الى المطلق او الله ، ولكنه يجهد لخدمة نفسه ..

اذن لا بد من التساؤل ، لماذا تجاهلت المسرحية هذه المساهمات الجديدة؟! ورغم ان المسرحية ترفض هذا التقسيم وتقدم الحل على لسان « هراري » - العلم - في خطبته الاخيرة ، - تلك الخطبة التي لا تكاد قصة أو مسرحية جديدة تخلو منها وكان الكاتب ، يضييق نفسه ويتعب فيرشق القارئ دفعة واحدة بكل ما يريد قوله ، ويستريح ، وتنتهي بذلك القصة -

يقول هراري (وهينيس .. الجمال الكلي ، خلف اللامبالاة تستعصر رغبة مرمضة وغامضة بمستحيل لا يطال : أن أصمير واياك يا داريو - الفن - رجلا واحدا ...) ، ولكن المسرحية لم تجرؤ على تقديم مفهوم هذا اللقاء وكيفيته ، أو حتى مجرد الرمز أو الإشارة الى المفاهيم الجديدة التي تعيش هذا اللقاء . وهذا يثبت ان المسرحية تحكم ضد العالم كله وليس ضد مفاهيم عفته أثبتت فشلها وعمقها ، وأنكرها الواقع وما زالت تنشب - مهملة بذلك قطاعات الجانب الاخر المخالف ، والذي يزحف عبر العالم الجديد كله ، زارعا المفاهيم الجديدة ، ملفيا هذه التقسيمات المتفتلة والمفرضة بين العلم والفن ، محطما بذلك فجوة واسعة في الدرب المسدود بل ملفيا السد نفسه.

والمشكلة الثانية ذات شقين ، صمت العالم ، ولا مبالاة الانسان .. وصمت العالم وبكمه وضمه واستغراقه مشكلة تعب منها الفكر البشري ، بعد ان اكتشف انها عملية مناطق للوهم مشوبة بترف فكري هسروبي حيناً ولا مجد حيناً اخر ، وفشل الفكر في القفز وراء الميتافيزيك ، وفتح اخيراً بالتمن في انعكاسات هذا الميتافيزيك على ذاته وكيانه . وفي مقدمات معادلة المسرحية عرض لنوع من الفكر الذي ما زال يناطح الوهم بالحاح ابله دون ان ينظر لحظة الى الواقع والجمع ، وبالثاني كان لا بد ان يحترق - ومرة اخرى تجاهلت المسرحية وجود مفاهيم اخرى اعطت العلم والفن مهاماً مفايرة ..

والشق الثاني من المشكلة ، لا مبالاة الانسان .. تصف لنا المسرحية حالة العالم في لحظة تقرير المصير .. (وثمة ضوضاء تتقاطع وتتشابك لا مبالية - بنحاش أصيل - بما يحدث داخل الجدران المساء التي تشهد بطريقة ما على قيمة العصر ، أما ساعة المدينة الشامخة ذات الدقات الموسيقية القائلة فكانت تواصل سيرها معمقة الشمور المفوم بهذا اللااكثر الكوني الذي يطبق على مسرح القصة) .

هذه هي المشكلة اذن ، الفطيع المطاطء الرأس في مسيرته نحو الهاوية ، العالم الذي يقرر مصيره شخص واحد ، ربما بسبب نرفزته من زوجته ذات صباح . عالم « هز الاكتاف » والانسحاق بمعلبات العصر وآليته ... حتى الفنان باع نفسه للزيف ، والعلم ايضا عرض خدماته بطريقة مومسية ، فالذي كان يخترع للنازي هو نفسه الذي يخترع حالياً لعدو النازي ... في الوقت الذي ترتفع فيه الصواريخ وتدور الاقمار وتكاثر يزداد الجوع وينتشر .. في الوقت الذي يقترب فيه العالم من الهاوية يزداد استهلاك الخمر ويتضاعف رواد الملاهي ... وتخرج الحلول المفرطة بخداع تعلقه عاطفية سطحية لا ينقصها الزيف والكذب ، ويبرز التشبث الهستيري بالحياة وبضرورة المحافظة عليها واستمرارها، ابتداء من تعاليم الاديان حتى اخر أفلام « بيتر أوستانوف » « جولييست ورومانوف » ، مرورا بالذين يسرون على أقدامهم يدعون أو يكون أو يتهلون ، لاجل نزع السلاح ..

أولاً ، يجب القول بأن البقاء والاستمرار ليسا مهمين بقدر كيفية هذا البقاء والاستمرار .. ان الاستمرار معدوم في الظروف الحالية